

### العلوم عند العرب

لا يخفى ان العرب كانوا قومًا اهل باديةٍ وأنعام يقضون دهرهم في ارياد مواقع النيث وانتجاع منابت الكلا فلا يزالون بين تطيبٍ وتقويض وحلٍ وترحال وهي حالةٌ منافية لطبيعة العلم وما يقتضيه من القرار والسكون والتوفر على البحث والاستدلال وذلك فضلًا عما كان بينهم من الغارات والمغازي المتواصلة وانقطاع كل قبيلٍ بنفسه بحيث لم تستتب بينهم الصلة الاجتماعية التي يكون عنها نماء المدارك واتساعها واثر هذا الانقطاع بادٍ في لغاتهم حتى تجد للمسمى الواحد عدة اسماء قد تبلغ الى المئات وتجد اللفظ الواحد يُطلق على عدة معانٍ متباينة وقد يُطلق على معنيين متضادين وهي نهاية البعد والاختلاف . فلما جاء الاسلام وضم شتاتهم وجمع اطرافهم اشتغلوا بالفتوح وانصرفت عزائمهم الى توسيع نطاق ملكهم ولا سيما مع ما أُوتوا من الظفر والتغلب على الممالك فكانت تلك الحال ابعد عن الاشتغال باسباب العلم والتفرغ لمباحثه وما زال امرهم ذلك الى ان قضوا نهيمتهم من الفتوح ورسخت قواعد دولتهم وراوا في اكثر الممالك التي وطئوها من اسباب الحضارة والتبسط في انواع الفنون ما حجب اليهم معاناة العلوم والصنائع فانصرفوا الى طلبها ولم يقع لهم ذلك الا في اثناء المئة الثانية للهجرة بعد ما دوخوا الآفاق وزال ما كان بينهم من المناهضات والمشاحات على الخلافة وغيرها . على انهم لم ينفلوا في تلك الفترة عن العناية بتدوين لغتهم وتحرير احكام شريعتهم وهو امرٌ ضروريٌّ في مثل تلك الحال لتقرير قواعد دينهم وصيانة ألسنتهم من

الفساد ولا سيما بعد اختلاطهم بالاعاجم مما دعاهم الى تدوين الفاظ اللغة وضبط احكامها على ما هو مشهور من وضع التصانيف فيها مما لا حاجة الى بسطه هنا . قال ابو الفرج المَلْطِيّ في تاريخه ونقله صاحب كشف الظنون قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي ان العرب في صدر الاسلام لم تكن بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرّاً اليها وذلك منهم صوتاً لقواعد الاسلام وعقائد اهله عن تطرّق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والاحكام حتى يُروى انهم احرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد . فهذه كانت حال العرب في الدولة الأموية فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبت القطن من ميتتها وكان اول من عُني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعته في الفقه كلفاً بعلم الفلسفة وخاصة بعلم النجوم . ثم لما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هرون الرشيد تم ما بدأ به جدّه فاقتبل على طلب العلم في مواضعه وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليه منها بما حضرهم فاستجاد لها مهرة التراجمة فترجمت له على غاية ما امكن ثم حرّض الناس على قراءتها ورغّبهم في تعلمها . اهـ

هذه مبادئ النهضة العلمية عند العرب تقدمهم فيها الخلفاء واعزّوا العلم واهله فهبت بهم ريحة وارتفع مناره ولم يمض حين من الدهر حتى حفلت بغداد ونواحيها بالعلماء والمصنفين وزخرت خزائنها بالكتب النفيسة

وامتدت شعلة الطلب والتدريس الى سائر المداين العربية حتى قيل ان الرشيد امر ان يبنى بجانب كل جامع مدرسة ولم يكن الحال بالمغرب على دون ما كان عليه بالمشرق وكان البادئ بنشر العلم هناك والداعي اليه الخليفة عبد الرحمن الأموي الملقب بالناصر فجعل مدينة قرطبة التي هي مقر الخلافة داراً للعلم على نحو ما كانت بغداد في المشرق وحشد الكتب من افريقيا وبلاد فارس ومصر والآفاق العربية حتى جمع فيما يقال اربع مئة الف مجلد وقيل ست مئة الف وانتشرت هذه الرغبة في العامة حتى كانت الكتب من انفس ما يتعالى به واشتد حرص الناس على جمعها وانتساخها والمغلاة باثمانها حتى يقال ان الاندلس كان فيها في اوائل القرن الخامس للهجرة سبعون مكتبة حافلة والناس على دين ملوكهم

وكان اول ما جنحوا اليه من العلوم الطب والتنجيم والفلسفة وذلك لما اشتهر عندهم من ان الانسان لا يكون طيباً حتى يكون منجماً ولا يكون منجماً حتى يكون فيلسوفاً فامر ابو جعفر المنصور طيبه جرجيس بن بختيشوع فعرب له كتباً في الطب استخرجها من الفارسية وعرب له محمد بن الفراوي كتاباً من تأليف الهند في صناعة التنجيم يسمى بالسند هند وامر عبد الله بن المقفع المشهور معرب كتاب كليله ودمنة فعرب له كتباً في المنطق عن اليونانية ثم تابع الخلفاء على ذلك من بعده واشهرهم هرون الرشيد وولده عبد الله المأمون وكان الرشيد لما فتح انقرة وجد فيها كثيراً من كتب العلوم فامر بحملها الى بغداد وأمر طيبه يوحنا بن ماسويه بتعريبها وقام بعده المأمون وكان اعظم الخلفاء واعلمهم وكان عارفاً من اللغات اليونانية والعبرية

والهندية والفارسية فضلاً عن تجرّمه في الفلسفة والهيئة فأكثّر من نقل كتب اليونان الى العربية وكان عنده عدّة من المترجمين منهم طيبه حنين بن اسحق العبادي وهو الذي عرّب كتاب اقليدس وكتاب المجسطي لبطلميوس وكتاب ابولونيوس في المخروطات وكثيراً من كتب الحكمة والطب من تأليف ابقراط وجالينوس وغيرها. وورد في بعض كتب الافرنج ان المأمون عقد عهد صلح مع ميخائيل الثالث<sup>(١)</sup> ملك الروم على ان يستنسخ له جميع المصنفات اليونانية ووجه بعثاً يحمل اليه من جزيرة قبرس كل ما وجد هناك من الذخائر العلمية وكانت الجزيرة قد دخلت من عهد قريب في حوزة الاسلام

ومن مشاهير المترجمين في الدولة العباسية خلا من ذكر اسحق بن حنين المذكور وكان يعرّب كتب الحكمة والطب وثابت بن قرّة وكان يعرّب كتب الحكمة وتوفي في ايام المقتدر ويعقوب بن اسحق الكندي وكان في ايام المتعمم ويوحنا بن البطريق وكان اميناً على ترجمة الكتب الحكمية وحيث بن الأعمم وكان ينقل عن الكتب اليونانية والسريانية وقسطا بن لوقا البعلبكي الفيلسوف الرياضي وغيرهم . واشهر الكتب التي ترجموها عن فلاسفة اليونان مؤلفات فيثاغورس في الحساب والموسيقى وغيرها من العلوم الرياضية ومؤلفات افلاطون في النفس والسياسة المدنية وكتب ارسطو في المنطق والحكمة والعلم الطبيعي والحيوان والنبات وكتب ابقراط وجالينوس في الطب ودسقوريدس في الادوية واقليدس في الهندسة

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب مع تيوفيلوس ابيه لان ميخائيل ملك بعد

وبطليموس في الهيئة وغير ذلك  
 وكان عند المأمون جماعة كبيرة من المنجمين منهم حبش الحاسب  
 المرؤزي صاحب الزيج الممتحن واحمد بن كثير الفرغاني صاحب المدخل الى  
 علم هيئة الافلاك ومنهم عبد الله بن سهل بن بوبخت ومحمد بن موسى  
 الخوارزمي وكان قيم خزانة كتب المأمون وله مصنف في الجبر والمقابلة الله  
 بامر المأمون وهو اول كتاب كتب في العربية في هذا الفن ومنهم ما شاء الله  
 اليهودي وكان في زمن المنصور وعاش الى ايام المأمون ومنهم يحيى بن ابي  
 منصور وعباس بن سعيد الجوهري وكانا كبيرَي المنجمين عند المأمون . قال  
 في كشف الظنون قال القاضي ابو القاسم صاعد الاندلسي في كتاب التعريف  
 بطبقات الامم لما افضت الخلافة الى عبد الله المأمون وطاحت نفسه الفاضلة  
 الى درك الحكمة ووقف العلماء في وقته على كتاب المجسطي وفهموا صورة  
 آلات الرصد الموصوفة فيه جمع علماء عصره وامرهم ان يصنعوا مثل تلك  
 الآلات وان يقيسوا بها الكواكب ويتعرفوا احوالها بها كما صنعه بطليموس  
 ومن كان قبله فعملوا ذلك وتولوا الرصد بها بمدينة الشماسية وبلاد دمشق<sup>(١)</sup>  
 من ارض الشام سنة ٢١٤ فوقفوا على زمان سنة الشمس الرصدية ومقدار  
 ميلها وخروج مراكزها ومواضع اوجها وعرفوا مع ذلك بعض احوال الكواكب  
 من السيارة والثابتة ثم قطعهم عن استيفاء عملهم موت الخليفة المأمون سنة  
 ٢١٨ فقيدوا ما اتهموا اليه وسموه الرصد المأموني . وكان الذي تولى ذلك  
 يحيى بن ابي منصور كبير المنجمين في عصره وخالد بن عبد الملك المرؤزي

(١) عبارة ابي الفرج « بالشماسية ببغداد وجبل قاسيون بدمشق »

وسند بن عليّ والعباس بن سعيد الجوهري والرف كلُّ منهم في ذلك زيجاً  
منسوباً إليه وكان ذلك اول رصدٍ في مملكة الاسلام. انتهى بتصرفٍ يسير  
ورصد المأمون ميل دائرة البروج رصدين احدهما في بغداد تولاهُ  
يحيى بن ابي منصور وسند بن عليّ وعباس بن سعيد فوجدوا ميل دائرة  
البروج ٣٥°٢٣' وقيل ٣٣°٢٣'. والثاني في دمشق تولاهُ خالد بن عبد الملك  
وسند بن عليّ وابو الطيب وعليّ بن عيسى الملقب بالاسطرلابي فوجدوا  
الميل المذكور ٢٣°٢٣' ٥٢

ومن اعمال المأمون المخلدة في كتب العلم والتاريخ قياسه للدرجة من  
خط نصف النهار على ما بسطنا الكلام فيه في الجزء السابع عشر من البيان  
(صفحة ٦١٠ وما يليها) تولى ذلك له ابناءُ شاكِر محمد واحمد والحسن وكانوا  
من مشاهير علماء الهيئة. وطوّلاً عدداً ذلك رصدٌ لميل دائرة البروج وحركة  
نقطتي الاعتدال وكان لهم مرصدٌ على جسر بغداد فظهر لهم بالرصد هناك  
ان تكبد الشمس في المنقلب الشتوي سنة ٢٣٧ ليزدجرد وهي سنة ٢٤٨  
للهجرة كان على ٣٣° ٥' ورصدوا في السنة التالية تكبدها في المنقلب الصيفي  
فكان على ٨٠° ١٥' فاستخرجوا ان عرض بغداد عند مرصد الجسر يكون  
٣٣° ٣٥' وان ميل دائرة البروج يكون ٢٣° ٣٥'. ولتحقيق مبادرة الاعتدالين  
رصدوا قلب الاسد سنة ٢٢٦ وسنة ٢٣٣ فتبين لهم انه في هذه الفترة  
تقدمت المبادرة ٦° ١٥' فتكون كميتها ٥٣° ٣٤' في السنة وهي اكثر من  
الحقيقة بثلاث ثوان ونصف ثانية على التقريب  
وجاء بعد هؤلاء ثابت بن قرّة وهو خريج محمد بن موسى بن شاكر

احد الثلاثة المذكورين وله مصنفٌ طَبَّقَ فِيهِ الجبر على الهندسة وهو اول من تقطن للتغير في ميل دائرة البروج وكان هيرخس وبطلميوس قد وجدا ان ميل دائرة البروج ٢٣° ٥٢' فلما اعاد الرصد وجده ٢٣° ٣٣' ٣٠" اي اقل بمقدار ١٨ 1/2 ° . ثم رصد نقطتي الاعتدال فوجد ان لهما حركتين احدهما مستقيمة والاخرى متقهرة بحيث وجد انه لا يمكن ضبط طول السنة برجوع الشمس الى احدى هاتين النقطتين فعاد الى طريقة الكلدان من رصد الشمس بالقياس الى الثوابت فخرج معه لطول السنة ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ١١ ثانية وهو يقرب مما حققه المتأخرون على فرق ٥ ثوانٍ ( ستأتي البقية )

### علاج المسوع

لحضرة الطاسي الفاضل الدكتور محمد العشماوي الحكيم  
مفتش صحة مركز شراخيت بالبحيرة

وعدنا في الجزء الماضي من الضياء المتير ان نأتي على بيان تأثير السم في المسوع وطرق مداواته وانجازاً لوعدنا نذكر ذلك بطريق الايجاز فنقول اما تأثير السم في الحيوانات ذات الدم الحار فهو فضلاً عن اتلافه للكرات الحمراء للدم يؤثر تأثيراً شديداً على المراكز العصبية ويكون منه حصول التقيء المتواتر والتشنجات العصبية المتكررة . ولندكر هنا طرفاً من اعراض نهش الافاعي عند الانسان والادوية التي وُصِفَتْ لها وافضل الطرق لمداواتها

والافاعي انواعٌ عديدةٌ اشدها خطراً هو الثعبان ذو الجرس او الثعبان الجبلجي وهو يسكن اميركا وافظها ما كان منه يسكن اميركا الجنوبية وليس لهذا الحيوان وجود في مصر الا اني اذكر اننا حينما كنا نتلق هذا التصل على المرحوم علي بك رياض استاذ علم المواليد الثلاثة في المدرسة الطبية ذكر لنا انه رأى هذا الثعبان في نيل الروضة بمصر وشاهد الخراشيف الزنانة التي في ذنبه وسمع منه الصوت الرهلي حال مشيه

والمشهور انه لا يوجد في مصر من الثعابين السامة سوى الثعبان الناصر مع انه يوجد فيها حية بترآء شديدة الخطر تأوي محاجر الجبل المقطم وهي لا تمهل ملسوعها اكثر من بضع دقائق كما انها ذات جراءة عظيمة وقد لدغت شاباً فلم تمهله اكثر من عشرين دقيقة

اما الثعبان الناصر الكثير الانتشار في مصر فهو يخشى شر الانسان كما يخشى الانسان شره ولذا فانه يفر منه الا اذا بادره الانسان بالشر او داسه سهواً

اما اعراض نهش هذه الحيوانات السامة عند الانسان فهي تختلف بحسب نوعها وشدة تهيجها وموضع اللدغ اذ اللدغ اذا كان في الوجه فالموت قريب للغاية . وعلى العموم فالاعراض المشاهدة عند الملسوع هي اولاً الجراح الحاصلة من اللدغ ولها هيئة مخصوصة تعرف بها وهي وجود وخزين متقاربن شكلهما ينطبق على شكل الكلايين ثم الاحساس بالألم في الجزء المجروح قد لا يكون ثقيلاً في المبدأ ثم يأخذ هذا الألم في الامتداد الى الاجزاء المجاورة حتى يصل الى الاحشاء البطنية ويأخذ العضو في الانتفاخ

وتغير اللون الذي يكون كدمياً ثم رصاصياً ثم تظهر عليه الفقاعات تقرينية ويحصل للشخص انحاء ويصير النبض دقيقاً متواتراً غير منظم ويحصل قيءٌ صفراوي وعسر في التنفس وعرق بارد بمقدار وافر واضطراب في الإبصار وفي القوى العقلية وتحدث تشنجات عصبية متواترة ويرقان عام واحياناً يشعر الملسوع بالآلام شديدة في القسم الشراسبي ثم ان الدم الذي يسيل من الجرح الوخزي يكون مسوداً واحياناً يستحيل الى مادة قيحية سائلة مصلية منتنة ويعقب ذلك ثقل الاعراض ثم الموت

ثم ان تحمل الانسان للدغ الحيات يختلف بحسب السن وقوة البنية فالاطفال سريعو الموت به وكذا ضعاف البنية والسقماء

اما معالجة هذه الآفة فقد تحيرت الاطباء في طرق الشفاء منها كما ان الادوية العديدة والترياقات المركبة التي اخترعت لمعالجتها ومنها ما ادخل فيه من اجزاء الحية نفسها ذهبت كلها بدون فائدة مما يدلنا على عجز صناعة الطب عن شفاؤها . غير ان المعالجة المتفق عليها نهائياً تختلف بحسب تهيج الحية وقوتها وقوة المصاب وموضع اللدغ ومدته

فاذا كانت الحية قوية شديدة التهيج والغضب والسم المنسكب منها بمقدار وافر في الجرح وموضع اللدغ سريع الامتصاص كالوجه مثلاً فالنجاة مستحيلة

واما اذا لدغ الانسان في احد الاطراف مثلاً وهو الغالب فيتبع في معالجته ثلاثة اطوار

(الاول) اذا لم يحدث السم الا ظواهر موضعية يُبتدأ بربط المحل

من اعلى الجرح حالاً من غير ان يكون الضغط قوياً لثلا يعوق الدورة  
 الغائرة للطرف ولا بدّ ان يكون الرباط عريضاً وبعد ذلك يوسع الوخز  
 توسيعاً كافياً بجملة شقوق غائرة حتى ينتهي الى غور الجرح وينسل بماء  
 كثير غسلاً متتابعاً ثم يُدلك بعصارة الليمون بشبه فرشاة كفرش الاسنان  
 ويوضع على الجرح محجم ذو طلمبة ماصة او يُمصّ الجرح بالقم اذا كان القم  
 خالياً من الجروح والقروح والتسلخات ويكوى بكاو كياوي شديد  
 كالحامض الكبريتيك المركز مثلاً او يكوى بالحديد الحمى الى البياض  
 ويكون الكي غائراً على قدر الامكان وفي الآن الواحد تعطى مشروبات منبهة  
 كالنيذ الحار او النعناع ويحفظ المريض في فراشه مغطّى تغطيةً جيدةً  
 ليسخن جسمه ويُلف العضو المسوع بقطن

( الثاني ) اذا امتصّ السم وسرى في الاوعية فتي جاء دور ردّ الفعل  
 تمنع المشروبات المنبهة وتعوّض بمنقوعات حارّة مضادة للتشنج تعين على  
 حصول العرق واذا وُجد برد وعرق لزج فلا بأس من اعطاء خلاصة  
 الكنكينا من ٤ الى ٥ جرامات في ١٥٠ جراماً من النيذ

( الثالث ) تقاوم الحراجات والحشكريشات من العوارض الثانوية  
 بالشق كما يفعل في الفلغمونيات المنتشرة ولا بدّ مع ذلك من تغذية مقوية  
 للمريض مع المعالجة المقوية ايضاً

ثم ان بعض الاطباء استعمل الحقن بيرمنجنات البوتاسا ضد نهش  
 هذه الحيوانات السامة في البلاد الحارّة لكن لم يتحقق الى الآن نجاح

هذا العمل

اما طرق الوقاية منها فعلى الانسان ان يتخذ كل الطرق الممكنة لعدم  
 اعتراضها في طريقها او مبادرتها بالشر او مفاجأتها في اجبارها واذا اضطر  
 الى مقاومتها فليس له الا ان يقابلها بسلاحه ويعتمد على عقله وذكاؤه وان  
 تمكن من القبض عليها فيكون بالقرب من رأسها او من ذنبها ثم يرجها رجاً  
 حتى لا تتحول عليه وتلدغه ويضرب بها الارض ليحل فقراتها  
 ولا ينبغي للانسان ان يأمن شيئاً منها على العموم حتى الموجودة في  
 أيدي الحواة والمشعوذين الذين يدعون نزع انيابها لما هو معلوم من ان  
 انيابها ملتصقة التصاقاً متيناً بفكها العلوي لا يتيسر نزعها منه ولكن جل  
 ما يفعله هؤلاء ان يقصفوا انيابها فقط وهي سريعة العود الى ما كانت عليه  
 لسرعة نموها او ينبت لها ما يحل محلها وعلى كل حال فلا يكون الدنو منها  
 الا تعرضاً للخطر والله الوافي

### السكة

المراد بالسكة النقود المسكوكة اي المضروبة من الذهب والفضة وغيرها  
 وأصل السكة الحديدية المنقوشة التي تضرب عليها النقود ثم سميت بها النقود  
 انفسها من باب المجاز المرسل واستعمال السكة او في معناها قديم جداً يرجع  
 الى اوائل عهد المجتمع للاحتياج اليها في التعامل الا انها لم تكن في اول امرها  
 تتخذ من المعادن المضروبة على ما هو الحال لعهدنا الحاضر ولكنهم كانوا  
 يصطاحون على اصناف من المواد التي تصلح لذلك كما لا تزال نراه الى اليوم  
 في بعض الانحاء البعيدة عن مواطن المدينة فان الحبش مثلاً يستعملون الملح

يتخذونه في شكل قُضْبٍ مربعة وفي بعض جهات اميركا الشمالية يستعملون  
الجلد الذي تتخذ منه القراء وفي المكسيك يستعملون حب الكاكو وفي  
بعض انحاء روسيا يستعملون قراضات من الجلد وفي بعض البلاد الافريقية  
يستعملون الصدف الى غير ذلك . الا انه لما كان غالب هذه الاصناف  
معرضاً للتلف مع صعوبة التحرير في قيمها تنبه الناس لاستعمال المعادن  
المطروقة لانها اجمع للصفات المطلوبة وكانوا يتخذونها بهيئة محلول او  
سبائك يتعاملون بها بالوزن وهو ما كانت عليه المعاملة عند المصريين  
الاولين والebraيين ولا يزال يُعامل بها كذلك في المملكة الصينية الى اليوم .  
ثم انهم لزيادة التسهيل في التعاطي جعلوها قطعاً مقدرة من الذهب والفضة  
يحررون اوزانها وقيمها ويرصدونها للمعاملة ولاتقاء النش فيها وسموها  
بختم صاحب البلاد ومن هنا ابتداء عمل السكة الحقيقية

اما اختراع السكة فالذي ظهر من مباحثهم انها اول ما استعملت عند اليونان  
لان كل ما وُجد من آثار الامم الاولى من المصريين والفرس والمادويين  
والاشوريين والبابليين لم يُر فيه شيء من النقود المضروبة واقدام سكة وُجدت  
في العاديات لا تتعدى الى ما وراء القرن السادس ق م وكل ما وُجد منها  
في ذلك التاريخ من ضرب اليونان . والظاهر ان اول من ضربت السكة على  
عهده هو الملك اسكندر الاول ما بين سنة ٤٩٩ و ٤٥٤ . وكانت قاعدة  
مسكوكتهم الدرهم وتحنه الاوبول وهو سدس الدرهم وفوقه الاستاير وهو  
من الذهب وقيمته عشرون درهماً وكانوا يضعون السكة على وجه واحد من  
النقود منقوشاً عليها اشكال هندسية تختلف باختلاف مصطلح البلدان

واشهرها الشكل المربع ومنها ما كان يُنقش عليها صورة الاله الذي تنتسب اليه كل مدينة وربما نقشوا فيها احرفاً تُنتزع من اسم المدينة او رموزاً تمثيلية تدل على معنى من المعاني . وقد رؤيت قطعاً من اقدمها عهداً عليها صورة ثور واخرى عليها صورة بومة او دلفين ومنها ما كان عليها صورة باخوس اله الخمر وبجانبه عنقود عنب وكأس الى غير ذلك . وكان اسكندر الاول يضرب حروف اسمه وتبعه في ذلك خلفاًؤه ثم صاروا يضربون صورة رأس من رؤوس الآلهة واستمر ذلك الى زمن اسكندر الكبير المعروف بذوي القرنين فضرب صورة نفسه وهو اول من فعل ذلك وكأنه على جهة التأله وتتابع ملوك اليونان من بعده على مثاله واقتفاهم في ذلك ملوك الرومان وكانوا يضعون صور اسلافهم الى زمن قيصر وهو اول من وضع صورة نفسه ثم لم يلبث غيره ان تبعه ايضاً

اما العرب فكانوا في اوائل فتوحهم يقدون المسكوكات القديمة من البيزنطية والساسانية ثم عدلوا عن ذلك الى الكتابة . قال ابن خلدون في كلامه على السكة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لمهداها او تمثيل حصن او حيوان او مصنوع او غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر امرهم ولما جاء الاسلام اغفل ذلك لسداجة الدين وبدعوة العرب . وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى ان تفاحش الغش في الدنانير والدرام لعقلة الدولة عن ذلك فامر عبد الملك الحجاج بضرب الدراهم وتمييز الغشوش من

الخالص وذلك سنة اربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين وكتب  
 عليها الله احد الله الصمد . وقيل اول من ضرب الدنانير والدرهم مصعب  
 ابن الزبير بالعراق سنة سبعين بامر اخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها  
 في احد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد  
 ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج . . وكان الدينار والدرهم على شكلين  
 مدورين والكتابة عليهما في دوائر متوازية يكتب فيها من احد الوجهين  
 اسماء الله تهليلاً وتحميداً وصلاة على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ  
 واسم الخليفة وهكذا ايام العباسيين والعيديين والامويين . . ولما جاءت  
 دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وان  
 يُرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ من احد الجانبين تهليلاً  
 وتحميداً ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده .  
 واما اهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة وانما يتعاملون بالدنانير  
 والدارهم وزناً بالصنجات المقدرة بعدة منها ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش  
 الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان كما يفعله اهل المغرب . انتهى باختصار  
 وجاء في بعض المؤلفات الافرنجية ان الاتراك لما استولوا على  
 القسطنطينية ضربوا النقود وعليها اسم السلطان بالحرف اليوناني وقد بقيت  
 منها قطع باسم السلطان محمد الثاني ثم لم يلبثوا ان استبدلوا الحرف اليوناني  
 بالعربي على ما هو الحال اليوم . ويروى عن السلطان صلاح الدين الايوبي  
 انه نقش على مسكوكاته ازهاراً من الزنبق واستمر على ذلك مدة ثم امله  
 وعاد الى الكتابة والله اعلم

## - استنبات الشعر -

جاء في احدى المجلات العلمية عن مكاتب لها في الآستانة ان طيباً من اهلها اذاع انه يُنبت الشعر في اي موضع شاء من الجسم حتى في راحة اليد . قال ولقد يترأى لبعض المطالعين ان هذا ضرب من الحرافة او ان لمُدعيه غرضاً ما ولكنني احقق له انه متسرع في هذا الظن وان الامر حق لا شك فيه والطيب المذكور يفعل ذلك مجاناً لا يسأل عليه اجراً . بلى لا يُنكر ان ذلك ليس من الاعمال التي في استطاعة كل انسان ان يجربها ولكن لا بد له من براعة فائقة على حد ما يقتضيه سائر اعمال الجراحة اذ هو غير خارج عنها . وفيما يزعم هذا الطيب انه عن قليل يمكن استبدال الشعر الذاهب كما يمكن استبدال السن مثلاً بسن صناعية غير ان الشعر الذي يفرسه في الجلد يعيش فيه ويتأصل وينمي ويكون متصلاً بأصل الحلقة على حد الشعر الذي يخلق مع الانسان لا كالسن التي تستعار وتبقى اجنبية عن الجسم

وهذا مع ما يظهر فيه من الغرابة وشبه الغلو فانه قد ثبت بتعدد التجارب وتكرار الامتحان وقد عقد الطيب المشار اليه محاضرة علمية جمع اليها طائفة من اكابر اطباء الآستانة وعرض امامهم هذا الاستنباط مع شرح الطريقة التي جرى عليها فيه وهي انه يفرس الشعر في الجلد كما يفرس الفسيل في الارض ثم اراهم شيئاً من الشعر كان قد فرسه في رأس انسان اقرع بأن احترق قطعة من جلده الذي عليه شعر فالصقها بالمواضع التي

ذهب شعرها فعاد الشعر الجديد نبي كالشعر الطبيعي  
ولا يخفى ان هذه الطريقة ليس فيها ما يُستغرب عند من شهد  
التطعيم الحيواني الذي اصبحت اليوم من الامور المتعارفة حتى عند عامة  
الناس فمن المشهور ان الجرّاحين كثيراً ما يتقلون قطعة من الجلد السليم  
فيلحمونها بموضع الجرح او القرحة فينشأ على ظاهر ذلك الموضع جلدٌ جديد  
يسد مكان الجلد الذاهب بالجرح او بتشوّه احد الاعضاء او غير ذلك من  
الآفات وربما طعموا العظم بمثل ذلك وليس في شيء من هذه الاعمال  
عجب وامر تعويض الشعر يتم على الطريقة نفسها

وما ننكر ان هذا الاستنباط لم يبلغ الى الآن تمام نجاحه اذ لا يصدق  
في كل مرة يدان ذلك منوط بالحالة التي يُجرى فيها العمل ولبلاغة  
العامل ولا بدّ لتحقيق نجاحه واطّراده من تكرار التجارب حتى يُهتدى الى  
انجحها واصدقها

على ان كل ما اجراه الطيب المذكور الى الآن لم يكن الا غرس عناصر  
من الشعر في مثل ما ذكر من مواضع القرع ولكنه يرجو بل يتيقن انه  
يمكن ان يتوصل بهذه الطريقة الى ردّ شعر الاصلح بتمامه الا ان ذلك  
لا يستغني عن استنباط طريقة يضمن فيها نجاح العمل بحيث ان الجلد  
المطعم يكون على عمق كافٍ واتجاهٍ موافق والا فلا يلبث الشعر الجديد ان  
يتناثر ويسقط . انتهى تحصيلاً

### — القوي العاقلة في الحيوان —

لحضره الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا ( ب م )

اطلعت في الجزء الرابع من الضياء على رد حضرة مناظري الفاضل على ما كتبت في الجزء الثاني واول ما ذكر فيه انه « لم يرَ من سياق كلامي على المبدأ الحساس فرقا واضحا بينه وبين المبدأ العقلي » وغاية ما طلبه مني « ان اقيم الادلة العلمية على مخالفة المبدأ العقلي في الانسان والعجاوات » وهآء نذا الّبي طلبه ولا اخاف على نفسي في هذا السبيل من « وعورة المسلك وعقبته ولا من اختلاف العلماء وتنازع الآراء » وقبل ذلك ارجو منه ان يسمح لي بالتنيه الى ثلاثة امور ( الاول ) ان في كلامه ما يشبه التناقض بين « عدم اقتدار البهيمه على ادراك الكليات مثل الانسان » وقوله « ان ذلك لا يعني كون المبدأ العقلي فيها وفي الانسان واحداً » لانه كيف يكون المبدأ العقلي واحداً في الاثنين اذا كان يختلف في الكم والكيف كما صرح به من قبل ( والثاني ) انه ادخل المسألة في طور جديد وارثق بها الى مذهب النشوء مما لا تسمح لنا اصول المناظرة بالبحث فيه قبل اتمام بحثنا في هذه المسألة وان تكن داخلة فيه فان الخروج عن موضوع البحث داعٍ للتشويش فيه ولملل القراء الكرام

( والثالث ) ان اطلاق لفظة اللغة بمعناها العام لا يصح ان يتخذ دليلاً قاطعاً على وجود العقل في صاحبها اذ يدخل في معناها اصوات الطير والحيوانات كما ذكر واصوات الآلات الناطقة كالتماثيل والتلغراف والفونوغراف وآلات

الموسيقى وما يسمى بلغة الازهار وغير ذلك مما تدل اصواتها واشاراتها والوانها على معنى فيها دون وجود العقل ويطلق عليها اسم اللغة كما يقال لغة الجرائد ولغة النبات وغير ذلك

\*\*\*

لا ينكر حضرة مناظري الفاضل اننا نرى بوناً شاسعاً بين الانسان والحيوان ولم يكن هذا البون الشاسع الا لوجود حدٍ فاصل بين نوعٍ ونوع ولا ريب ان فصل الانسان الذي يميزه عن العجاوات هو عقله او نطقه ولا يخفى ان المبدأ الحساس او نفس البهيمة جوهر غير تام لا قيام له ولا حياة ولا فعل الا في حالة التركيب اذ لا بد له ان يكون متحداً بجسم مخصوص ملازم له لا يفارقه يولد ويعيش ويموت معه فلا ادراك له الا به على وجه مناسب لكل حاسة فيه مما لا ارى موجباً للاسهاب في بيانه .  
اما المبدأ العاقل او نفس الانسان فهو جوهر تام مستقل بذاته لا يحتاج ان يشاركه آخر في قيامه وافعاله وان يكن ملازماً للجسم ويحتاج اليه في بعض افعاله الا انه يستغني عنه لان ماهيته البسيطة لا تحتاج الى الجسم الذي لا نسبة له معها لانه روح ليس فيه شيء من صفات الجسم وخواص المادة اذ لا ينسب له كم ولا له طول ولا عرض ولا جزء ولا حيز ومن صفاته التي خص بها الفكر وادراك الكليات وحرية الاختيار والخلود او البقاء كما اقرره جرياً على هذا المبدأ « ان المسببات المتشابهة تنتج من اسباب متشابهة وبالعكس »

\*\*\*

ترجع الافعال النفسانية الى ثلاثة اضرب او انواع وهي الحس والفكر والارادة ولا بد ان يكون لها ثلاث قوى تناسبها في الفعل الذي ينشأ عنها وقد تقدم بيان الحواس الظاهرة والباطنة التي يكمل بها ادراكنا المحسوسات مما يقتضي ثلاثة امور وجود سبب مؤثر في الخارج وآلة او حاسة خارجة في الجسم تنقل هذا التأثير وقوة باطنة تدركه اي تشعر بهذا التأثير الخارج وبنائه عليه لا يتم فعل الحس الا في حالة التركيب بانتقال صورة المحسوس مفرداً معيناً بصفاته المشخصة له في حال التأثير من المكافئ والزمان والمقدار والصوت والنور والطعم والرائحة والحركة والسكون مما يؤثر في الحواس وهذه الصورة بسيطة لا شيء فيها من الجسم وسميت حسية لان النفس لا تحتاج في ادراكها الا الى الحواس

على انه مما اتسعت دائرة ادراك المبدأ الحساس فهي جزئية سطحية لا تتناول سوى الظواهر مفرداً مفرداً فلا يدرك في الكون سراً ولا معنى لطيفاً ولا حقيقة كلية اذ تمنعه كثافة الجسم والحواس عن الترقى الى عالم العقول ولا تدع له سبيلاً للتقدم الى ما بعدها من اسرار الكون

\*\*\*

يسلم حضرة مناظري ان الانسان يدرك الكليات وان « له فكرة يستعملها لسد حاجاته وبذلك اتسعت دائرة ادراكه الى حد اقصاه عن باقي الحيوان وانتقل من طور شركائه في ادراك الجزئيات الى طور ادراك الكليات وسميت لذلك قواه المدركة عقلاً » . ومعلوم ان ادراك الكليات لا يتم الا بالتعقل اي العلم الحقيقي بالشيء اي ان نعرف الشيء بماهيته وخواصه الذاتية

التي يقوم بها وهو ادراك عقلي لصورة معنوية في الذهن مجردة عن الصفات  
المشخصة التي تقيدها بموضوع جزئي مفرد ويقال لتلك الصورة فكر وهو  
صورة حاصلة في الذهن او العقل مطلقة كلية غير مقيدة ولا معينة اذ ليس  
لها حد سوى الصورة النوعية او الحقيقة التي تشمل افراداً كثيرين ولهذا  
يقال لهذه الصورة العقلية كلية فالكلي المستور يختلف كل الاختلاف عن  
المفرد المحسوس والادراك العقلي او الفكر يختلف كل الاختلاف عن الادراك  
الحسي فلا بد اذاً ان يختلف المبدأ العقلي عن الحساس  
( ستأتي البقية )

### الاب لويس شيخو والقمر

اثبت لنا حضرة الاب لويس شيخو في الجزء الاخير من مشرقه المنير  
ان « القمر كمدٍ » ( بتشديد الدال ) « اي على شكل مُدّ » وبرهانه على  
ذلك انه رأى هذه اللفظة في نسخة القزويني المطبوعة في لبسك مضبوطة  
« بتشديد الدال » ( كذا . . . ) . ونحن نزيده على ذلك برهاناً آخر وهو  
ان بعض الذين جاؤا ليلة امس ( ١٣ نوفمبر ) الى ساحة الهرمين هرباً من  
مذنب قالم اخبروا انهم رأوا ملكاً عظيماً ضخماً الجثة قد ظهر من الافق  
الغربي ملتخفاً بالغمام فتناول ذلك المد بيده وشرع يطوف في نواحي السماء  
فيكيل به النجوم ويقذفها في عرض الفضاء . . . . .

فبقى على حضرة الاب الفاضل ان يبرهن لنا كيف يحدث كسوف  
الشمس « عند ابدار القمر » ( كذا ) اي في وقت كون القمر بداراً كما افادنا

ذلك في مشرقه الباهر (ص ٩٩٩) فاننا الى ظهور الجزء الاخير منه كنا نظن ان حضرة الاب امام في اللغة فقط فاذا هو من العلماء المتبحرين في الفلك ايضاً والفضل بيد الله يؤتيه من يشآء

## اسئلة واجوبتها

قنا - نرجو الاجابة على هذين السؤلين

- (١) ما معنى « ليت شعري » وكيف تُرَب
- (٢) ما اصل استعمال لفظة « الديوان » من دواوين الحكومة ومن اي تاريخ بدأ استعمال هذه اللفظة وهل تدل على معني آخر

رياض يوسف حنا

الكاتب بقنا

الجواب - معنى ليت شعري ليتني اشعر وخبر ليت محذوف اغنى عنه مفعول شعري والتقدير ليت شعري حاصل . واما الديوان فهو لفظ اعجمي واصل هذه التسمية ان كسرى نظر يوماً الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم كانوا يحادثون فقال « ديوانه » اي مجازين بلغة الفرس فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهماء لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقبيل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات اه . قاله ابن خلدون . قال في لسان العرب واول من دوّن الديوان (اي عند العرب) هو عمر رضي الله عنه وهو فارسيّ معرّب . وفي التاج وقال الماوردي في الاحكام السلطانية ان الديوان موضوع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال

والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال . قال المؤلف وذكر غير واحد  
انه انما سمي به لان كسرى لما اطلع على الكتاب ومعاملاتهم في سرعة  
قال هذا عمل ديوان اي هذا عمل الجن فان ديوبالكسر الجن والالف  
والنون علامة الجمع عندهم فبقي هذا اللقب هكذا . وقال المناوي الديوان  
جريدة الحساب ثم أطلق على الحاسب ثم على موضعه . وفي شفاء الغليل  
أطلق على الدفتر ثم قيل لكل كتاب وقد يُخصَّ بشعر شاعرٍ معين مجازاً  
حتى جاء حقيقةً فيه فعنايه خمسة الكتبه ومحلم والدفتر وكل كتاب ومجموع  
الشعر . انتهى

## آثار ادبية

الفرائد الجوهريّة في الطرّف النحويّة - أهديت لنا نسخةً من هذا  
الكتاب تأليف حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ طنطاوي جوهرى من متخرجي  
الازهر الشريف نحاً فيه ترتيب ابواب الالفيه وذيل ابوابه بتمرينات مفيدة  
فنحضّ طلاب هذا العلم على مقتناه ونرجو لمؤلفه جميل الجزاء

الكوثر - هو عنوان مجلة علمية ادبية مدرسية لحضرة منشأها جورج  
افندي طنوس ومديرها توفيق افندي فرح وقد اطعننا على الجزءين الاوآين  
منها فوجدنا فيها عدة مقالات ونُذ مفيدة . وهي تصدر مرتين في الشهر  
وقية الاشتراك فيها عشرة غروش مصرية لتلامذة المدارس وخمسة عشر  
غرشاً لغيرهم فنحث الطالبة والمستفيدين على اقتنائها ونرجو لها مزيد النجاح

# فكاهات

## رقائبة

جزء الاحسان (١)

اشتهر احد كبرآء الانكليز بالغنى الوافر وعمل الخير والاحسان ومساعدة البائسين واغاثة الملهوف حتى لم يكن هناك من لم يحترمه ويدع له بطول البقاء والخير . ولم يكن له سوى ولدٍ وحيد يدعى فيليب رباؤه منذ حداثةه على اطواره واخلاقه آملاً انه عند ما تحنيه الايام وتقيده الشيخوخة عن السعي يقوم ولده هذا بمقامه في تدبير املاكه وضبط ثروته واقتفاء اثره في المبرات والاحسان . ولما بلغ فيليب الحادية عشرة من عمره دعاه والده اليه وقال له قد حان وقت ارسالك الى المدرسة الجامعة لاكمال دروسك وانه ليشق عليّ مفارقتك هذه المدة وانت محل تسليتي وسروري لكن حب مستقبلك يدفعني الى ذلك فكن رجلاً يا عزيزي وجاهد ما استطعت وعد اليّ قبل فناء حياتي لارى خليفة الرد لنكستر ووارث مجده

فبرقت اسرة الغلام وقال ان هذا غاية ما اتناه وما كنت انتظره منك يا والدي وهاء نذا مستعد للذهاب وسأرجع اليك ان احياي الله رجلاً جديداً لا تخجل ان تدعوه ابنك . ثم خفض صوته وحنى رأسه قليلاً

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وقال غير اني قبل ذهابي اسالك نعمةً واحدةً يا ابي فهل تسمح لي بها . قال  
سلي ما تشاء يا عزيزي ولورمت ان تجعل فؤادي كرةً تلعب بها لما منعتك .  
قال انت تعرف جورج ابن النسالة رفاقي في اللعب فهو يتيمٌ فقير لا معين  
له ولا محير سوى والدته المسكينة التي لا تكاد تتمكن من اشباعه الخبز  
وقد علمت انه ميالٌ للعلم فانه كثيراً ما قال لي والدموع في عينيه انه  
يفضل الموت على ان يبقى جاهلاً وانت يا والدي لديك من المال ما يمكنك  
من مساعدة الايتام والمساكين فهلاً حسبت جورج اخاً لي وارسلته وايادي  
لتعلم معاً

فلم يملك الوالد عبرته عند هذا الكلام فسمح دموعه ثم رفع ولده الى  
صدره وقبله وقال لك ما تحب يا فيليب فاذهب وقل لجورج انك ستأخذ  
معك وعلى نفقتك واستعد الآن لتسافرا في اول الاسبوع القادم . فانحنى  
الولد على يدي والده يقبلهما ويغسلهما بدموع الشكر ثم اسرع الى صديقه  
المسكين يبشره ويتشاطران السرور

وفي الاجل المعين سافر اللرد لنكستر بالولدين بعد ان جهزها بكل ما  
يحتاجان اليه فاوصلهما الى المدرسة واوصاهما واوصى بهما ثم ودعهما ورجع الى  
زوجته واقاما يتشاكيان مرارة فراق الغلام ويحسبان الايام لرجوعه  
وبعد ثماني سنوات اكمل الولدان دروسهما وحصلوا الشهادات  
والامتيازات التي استحقاها باجتهدهما وعادا الى الوطن يطفح وجهاهما بالسرور  
والبشر . وبعد ان اقاما مدة دعا اللرد ولده فيليب وقال له تعلم اني قد صرت  
رجلاً مسناً وعن قليل سيقعدني الهرم عن الاشغال فلا بد لك ان تترشح

لان تنوب عني في تولي مهاتنا وقد رأيت ان اجهزك بالني ليرة تتعاطى بها  
اعمال التجارة مدةً من الزمن وقصدي بذلك ان تختبر اخلاق الناس  
ومعاملاتهم حتى تعرف كيف تتصرف بينهم في مستقبل ايامك فهل تميل  
الى ذلك . قال اني اتعاطى ذلك بكل سرور ولا سيما وان فيه مرضاة والدي  
وسروره ومنفعتي في المستقبل لكن يسمح لي والدي ان اذكر له امرأً  
واحداً . قال قل يا عزيزي ما بدالك . قال انك قد انعمت على صديقي  
جورج بادخاله معي في المدرسة حتى احرز من العلم مثل ما احرزته انا واضحي  
بمنزلة ولدك واخ حقيقي لي وقد اصبح الآن في سنٍ وحالٍ هو فيها  
احوج الى المساعدة فهل تسمح ان اشاطره المبلغ الذي عينته لي ليكون له  
رأس مال يستعين به على معيشته . قال أفعل بكل نفس طيبة وازيدك الفاً  
اخرى عوض الالف التي ستقسم لصاحبك جورج ثم دخل مكتبته وقطع  
له حوالةً بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة فاعطى جورج منها نصيبه . فلم يدر جورج  
باي عبارة يشكره على ذلك ثم جاء الى والده اللرد فخيا بتأذّب ثم وقع على  
قدميه يقبلها وقال اني قد حرمني الدهر والدي واسباب المعيشة ولكن  
الله عوضني اباً شفيقاً أقدر منه على تسهيل سعادتي ورزقي صديقاً هو ابرّني  
من الاخ الشقيق فقد جعلتاني من العدم شيئاً ورفعتاني من الفقر المدقع  
الى السعادة والرخاء فانا اشكركما ما حبيت ولا اقول اني يوماً ما افي بعض  
جميلكما لانني وما لي عبدكما ولكما

ثم استقل جورج بتجارة تعاطاها وخدمه التوفيق فنجح وابدى فيليب  
فيما تعاطاه من الاشغال مهارةً وحنفاً عجيبين . حتى انشرح صدر والده

وتيقن حسن مستقبل ولده واحياء مجده ومجد أسرته ومن هناك اخذ  
يفوض اليه الشيء بعد الشيء من مهماته واشغاله فقام بها احسن قيام  
وكان فيليب كلما سمحت له الفرص يركب عربة ويجول في انحاء  
المدينة للزهوة وترويح النفس من مشاق الاشغال وبيننا كان كذلك في بعض  
الايام اذ وقمت عينه على نافذة دار لاحد الكبراء فرأى فيها فتاة بديعة  
المحاسن اخذت بمجامع قلبه فلم يلبث ان أخذ بشرك هواها ولبث بعد ذلك  
كلما خرج للزهوة يمرّ بذلك الموضع فيرى فانتته كأنها بانتظاره وكانت  
بالحقيقة قد اصابها مثل ما اصابه من الوله والهيام فلم تعد تستمرئ طعاماً  
ولا تسرّ بشراب بل تنتظر كل يوم موعد مروره فيكفنيان بتصعيد الزفرات  
وارسال سهام الاعين لشق الصدور

وما كان عقب هذا المسك ليختفي عن ذكاء اللرد لنكستر بعد ما رأى  
من ضعف ولده وهزاله فاخذ يستدرجه بما طبع عليه من الرقة  
والتلطف والخنكة المزوجة بالحنو الوالدي الى ان اعترف له بالحقيقة وقال  
لا اکتتمك يا ابي انني رأيت فتاة طرحتها التقادير في طريقي والصقتها  
بفؤادي وعلمت انها تجبني كما احبها فاذا جعلها الله نصيبي عشت سعيداً  
واذا حرمنيها الدهر قلت على الحياة السلام . فقال اللرد ان غاية ما اتناه  
يا فيليب انا ووالدتك ان نرى لك شريكه في حياتك تشاطرك احوالها  
وتكفل لك السعادة والهناء بشرط ان تكون من الفتيات الشريفات اللواتي  
لا يضيع بهنّ دم لنكستر فمن هي فانتك يا ترى فان كانت ممن احبهنّ لك  
بذلت وسعي في تسهيل زواجك بها وايقنت اني انحدر الى قبوري بسلام .

قال اني قد بحثت عنها يا والدي وهي مريم ابنة اللرد يُرك ووارثته الوحيدة .  
 فلما سمع والده ذلك قطب حاجبيه فقال فيليب ما لي اراك قد استأثت . عفواً  
 يا والدي العزيز فاني لا اشترى كل نساء العالم بأن تستأ ولو طرفة عين .  
 فقال اني لم استأ يا عزيزي بل اعجب من مهارتك في الانتخاب فليس في  
 كل انكثرا من اتمناها لك أكثر منها . غير اني تذكرت اطوار والدها وحققه  
 عليّ لاسباب قديمة فمسي ان تكون حادثكما هذه سبباً لا بطل الضغائن  
 وتجديد علاقات المصافاة

ثم انه في نفس الاسبوع احيا اللرد يُرك ليلة احتفل فيها بعقد خطبة  
 فيليب لمريم بمشهد الانسباء والاصدقاء واخذ الخطيبان يتراوران ويوتقان  
 علائق الوداد الا ان ذلك لم يكن ليغير اطوار الوالدين فلبنا على ما كانا عليه  
 من المقاطعة والتدابير

وبعد مدة استدعى اللرد يُرك صهره وقال له اني احبك جداً يا عزيزي  
 فيليب ولا اجعل مقدار ثروتك واقتدارك على ان تعيش في اسعد حال  
 ولكن اعلم يا ولدي ان لا حالة تدوم وربما لا سمح الله انقابت بك احوال  
 الدهر وذهبت اموالك فهلاً تعلمت صناعة او فناً يقيك من النفاقة ويكون  
 سلاحاً لك في وجه النوازل وعوناً على المقادير . فاذا قبلت نصيحتي فاني  
 اشير عليك بتعلم الطب فانه صناعة شريفة اذا احتجت اليها تكفل لك  
 مستقبلاً سعيداً . قال انه رأيي حسن ونصيحة مقبولة ولكن . . . . . قال  
 ولكن يصعب عليك فراق مريم . . . . . أفلست رجلاً اولاً يمكنك ان تملك  
 ارادتك اربع سنوات مدة تعييك وانا اتيقن ان هذا الغياب يوثق اسباب

حكما ويكون اصلح لزوجكما اذ لا تزالان حديثي السن  
وبعد محادثة قليلة وعد فيليب بالاجابة الى رأي حميه بعد استشارة  
والديه وحبيته . اما الوالدان فلم يمكنهما الا استصواب الرأي ولو كرهاً واما  
مريم فلم تجب الا بسكب العبرات ولم تسمح بسفره الا بعد ان اقنعها والداها  
ب لزوم ذلك . وهكذا سافر فيليب بعد الوداع وتوطيد عرى الولاء وكلف  
صديقه جورج ان يكون وكيلاً للرسائل بينه وبين مالكة فؤاده ولم يكده  
يصل الى مدرسته حتى خط لها اسطر الشوق وعبارات الحب وفي اليوم  
الثاني ورد عليه جوابها ولم تزل المكاتبات متصلة كل يوم مدة السنة الاولى .  
وكان فيليب في الوقت نفسه يجهد قواه في دورسه حتى اعجب به اساتذته  
ونزل من قلوبهم منزلة الحب والاکرام

وفي اوائل السنة الثانية اتاه من حبيته كتابٌ يقول فيه « لا تنظر  
يا عزيزي فيليب ان اكتب اليك يوماً كالعادة فانه لم يعد عندي ما اكتبه  
واني اخاف ان يعوقك اتصال مكاتباتنا هذه عن دروسك ويطيل غيابك  
عن محبتك مريم .. » فاجابها فيليب ان كثرة المراسلات لا تعوقه عن  
دروسه بل تزيد في رغبته ونشاطه وتقويه على احتمال مرارة الفراق . غير  
انه في ذلك الاسبوع لم يحصل على جواب منها فانكسر قلبه وحزنت  
روحه وامتنع عن الطعام فذبل ورد وجنتيه وفارقت شفثيه تلك  
الابتسامات الحلوة ولاحظ اساتذته ورفصاً وُه حزنه فاجتهدوا جميعاً في  
ملاظفته وتسليته . وفي الاسبوع الثاني ورد على فيليب رسالة من صديقه  
جورج يقول فيها « لا بد ايها الحبيب انك في قلقٍ لا تقطاع مريم عن

مكاتبتك واني رأيت فيها هذه المدة تغيراً عظيماً فهي على ما اظن قد مالت  
عني الى سواك واني انصح لك ان تقلع عن هواها ولا تهتم بمن لا يهتم  
بك فان سلوكها من الآن مع ما فيه من الصعوبة افضل من زيادة تملكك  
بها وهي لا تميل اليك . فما كاد فيليب يتم قراءة هذه الكلمات حتى شعر  
كأن روحه قد اختطفت من بين تراقيه وسقط لا يعي شيئاً . ولما رآه  
رئيس المدرسة امر بنقله الى سريره وعين له طبيباً يتعهده وممرضة تسهر  
عليه فبقي اسبوعاً كاملاً تحت اشد اثقال الحمى لا يعرف بقاؤه في الحياة  
الا من صياحه تحت غيبوبة الحمى بالفاظ متقطعة واسماً مبهمه . ولما اخذ  
يتعافى وعلم بوجود الممرضة سألها عن نسبها ووطنها ولما علم انها آتية من  
بلده سألها هل تعرف أسرة اللرد يرك فاجابته انها تعرفها . فسألها هل  
تعرف ابنتهم مريم فقالت اني خدمت في بيتهم ستة اشهر لتريض والدة  
اللرد وقد علمت ان مريم كانت مخطوبة لابن اللرد لنكستر وان خطيبها  
سافر لاشغال لم اعلمها ووكل صديقاً له اسمه جورج ليكون واسطة  
المكاتبة بينهما وكان جورج يقوم بما فوض اليه بكل امانة . فلما استدعوني  
اليهم رأيت جورج المذكور يبذل جهده في الزيارات لمريم وتسليتها وايصال  
المكاتبات اليها وكان بعد دخولي بيتهم يظهر لي ميلاً والتفاتاً غير عاديين ولم  
تطل المدة حتى اعترف لي بحبه وميله للاقتران بي فاغتررت بكلامه غير  
عالة بمقاصده السيئة واعماله الدنيئة . ثم كثرت زيارته لبيت اللرد وكنت  
احسب ذلك حسب قوله رغبة في مشاهدتي الى ان قدم ذات ليلة وهو  
يهل فرحاً ثم دخل بي الى غرفتي وقال اني قد ادركت مرامي يامرثا . قلت

في ماذا قال فيما اشتغلت به سنةً كاملةً فاني من حين وقوع نظري على مريم احببتها وعزمت على استخلاصها من فيليب بأية حيلةٍ استطعتها وقد وجدت صعوبةً عظيمةً في اوّل الامر لكن طول غياب خطيها خفف من حبهام له حتى امكنتي اجتذاب قلبها وفي هذا النهار حصلت على وعدّها بالاقتران بي . اما اظهاري الحب لك فلم يكن الاّ لمساعدتي في دخولي وخروجي بدون نكير فما انا اودّعك واتمنى لك الخير . وقبل ان اتمكن من مجاوبته تركني وذهب وفي الصباح تأكدت ما سمعت فان مريم نفسها اخبرتني انها احبت جورج وستقترن به في آخر يوم من الشهر الحالي وكان فيليب كمن يسمع الحكم عليه بالاعدام وكانت حرارة الحمى تزيد اضطراب دماغه غير انه تجلّد وقال لها اذا تركت خطيها الاوّل وستزوج ومتى سيكون عقد القران . قالت ميعاد اكليلها مساء غد الساعة التاسعة في كنيسة القديس بولس

ولم يقوَ فيليب على الكلام بعد فسقط في غيبوبةٍ من الحمى المحرقة التي جدها عليه هذا النبا وظنته الخادمة قد نام فخرجت واغلقت الباب . ولما كان المساء استيقظ فيليب فجمع قواه المتضعفة وجهز امتعته وكتب الى رئيسه كتاباً يقول فيه « ان اسباباً مهمة تستدعي ذهابي الى بيتنا حالاً ولو استأذنتك في الذهاب لما سمحت لي خوفاً على صحتي ولذلك اضطررت ان افرّ فاعذرني على خرق القانون هذه المرة الوحيدة . » ثم وضع الرسالة على سريره وانتظر الى ان انتصف الليل فانسلّ في الدهليز الخارجي الى حديقة المدرسة ووثب منها الى الشارع واخذ يجري مدفوعاً بالموامل الفعالة

في دماغه وحرارة الحمى وهو لا يبالي بهزيم الرعد وانسكاب المطر وما زال  
يعدو حتى بلغ محطة السكة الحديدية فوجد القطار قد سافر وهو يسمع  
صفيحة فضة على يديه تلهفاً وجري في أثر القطار لعله يدركه ولما رأى عدم  
امكان ذلك عزم ان يتابع سيره فاما ان يصل المدينة في الميعاد او يموت في  
الطريق . فكان يقع تارة ويقوم اخرى في ذلك الليل المزعج حتى وصل الى  
الكنيسة قبل ميعاد الصلاة بثلاثين دقيقة وكانت مفتوحة ومزينة  
بالازهار والانوار فانسل بدون ان يُرى واختفى بين ازهار المذبح منتظراً  
قدوم العروسين . فلما حضرا وباشر الكاهن رسوم الاكليل خيل للعروس  
انها رأت شبح خطيبها الاول فارتعدت فرائصها ولما سألتها الكاهن عن  
قبولها جورج بعلاً لها واجابت نعم تحقق لها ان الشبح الذي رآته هو نفس  
فيليب . فصاحت صيحة عظيمة وسقطت مغشياً عليها . واغتم فيليب فرصة  
انهماك الحضور فخرج مستتراً وتوجه الى بيته وكان والداه خارج البيت  
فاوصى الخادم ان يعرفهما بمجيئه حال رجوعهما . ولما دخل غرفته شعر  
بانحطاط قواه فاسرع الى مكتبته وكتب رسالتين في غاية الاختصار الاولى  
الى مريم يقول فيها « اني لم ازل الى دقيقة موتي مقيماً على حبك اميناً على  
عهودي ولو كان عندك ذرة من الوفاء لما تركتني وانشغفت بجورج الخائن  
الذي لم ير ان يكافئ احساني باحسن من هذا . فكفاني انتقاماً منك ان  
تكوني زوجة خائن جاحد للجميل وكفاني انتقاماً منه ان له زوجة متقلبة  
الاطوار لا تدري معنى الحب . وجل ما اطلب منكما يا قاتلي ان تمرآ على  
قبري وتقولوا رحمة الله لقد احسن الينا وكان اميناً . واما الرسالة الثانية

فكانت الى والديه يخبرهما بتفاصيل قصته ويتمنى ان يراها قبل وفاته  
ويصبرهما ويعزيهما على فقده . ثم وضع الرسالتين على مائدته ولما لم يعد  
قادراً على الحركة انطرح بقرب سريرِه واستعدَّ للموت وهو يتضرع الى الله  
من قلب كبير ان يمهلُه ريثما ينظر والديه نظرة الوداع

ولما جاء والدها وعلمها برجوعه اسرعا الى غرفته ولما بلغا الباب امسك  
الورد بذراع زوجته وقال لها لا تقطعي صلاته ولننظر هنيئاً اما فيليب  
فكان يسمع كلامهما وهو غير قادر ان يبدي اقل اشارة ولما طال الوقت  
ورأت والدته الحالة التي كان فيها لم تستطع صبراً فدخات واثقت نفسها على  
ولدها ففتحت فاهُ كمن يحاول الكلام ثم فاضت روحه بين ايدي والديه

.....  
وبينما كانت كوئوس الافراح دائرة في بيت جورج وصات رسالة فيليب  
فقراءتها مريم وهي غائبة الرشد ثم صرخت نعم انا الخائنة انا القاتلة فقد  
قتلته بيدي . كلا يا جورج لن اكون عروساً لك فاني قاتلة وانك خائن  
وقاتل . فاسرع جورج واختطف الرسالة من يدها ولما قرأها فقد عقله من  
تبكيت الضمير فتناول مسدساً وقبل ان يتمكن احدٌ من امساكه الهب برصاصه  
دماغه . وفي اليوم الثاني خرجت مريم الى دير لآخوات الرحمة فاقامت  
به وبعد ان مضت عليها عشرة ايام دخلت الراهبات غرقها فوجدنها ملقاةً  
على سريرها جثة بلا روح وبجانها وصاتها الاخيرة تناشدهن فيها ان يدفنها  
في قبر فيليب وان يُنقش على ضريحها « لم تجمعنا الحياة فجمعنا الموت »